الشعر ومكانته فى نظر الإسلام

محمد انوار الحق العظيمى

قال الله تعالىٰ فى كتابه المجيد والشعراء يتبعهم ايغاوون ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون (١) يفهم من ظاهر هذه الآيات الكريمة أن الإسلام يعارض الشعر والفن لذاته ويذمه ذما شديدا. ولذلك لم نزلت هذه الآيات الكريمة ذهب حسان بن ثابت و عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك رضى الله عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون(٢). وكما جاء فى قوله تعالى وما هو بقول شاعر، قليلا ما تؤمنون(٣) وما علمناه الشعر وما ينبغى له، إن هو إلا ذكر و قرآن مبين(٤) .تدل هذه الآية على أن الإسلام لا يحب الشعر والممارسة الشعرية أصلا، وكذلك وردت أحاديث صحيحة فى ذم الشعر مما يدل على أن الإسلام لايشجع نظم الشعر، وإنشاده، كما روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلى شعراء(٥) وكما روى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا يريه خيراله من أن يمتلى شعراء(٦) وأيضا روى عن أبى سعد الخدرى رضى الله تعالىٰ عنه قال: بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلى جوف رجل قيحا خير من أن يمتلى شعرا(٨)

وفى جانب آخر وردت أحاديث صحيحة تحث على نظم الشعر وإنشاده، كما ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضى

الله عنه: أهجهم أو قال هاجهم وجبرئيل معك. وعن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبىُ صلى الله عليه وسلم: الله عزوجل قد أنزل فى الشعراء ما أنزل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه** ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل(٩) وجاء فى الحديث الشريف: **إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما**(١٠)

وإن من البيان لسحرا. وإن من الشعر حكمة(١١) وعن البراء قال: قال النبى صلى الله عليه يوم قريظة **لحسان** بن ثابت رضى الله تعالىٰ عنه:" **أهج المشركين فإن جبرئيل معك** " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان:" **أجب عنى اللهم يّده بروح القدس** "(١٢) وعن أبى هريرة رضى الله تعالىٰ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:ألا كل شيء ما خلا الله باطل**(١٣)"

ومن أجل ذلك اختلف العلماء القدامى والمتأخرون فى جواز نظم الشعر وإنشاده، فقال بعضهم : لا بأس بنظم الشعر وإنشاده وروايته، وطائفة تكره نظم الشعر وإنشاده وروايته. ونجد أن طائفة تزعم فى كل عصر من العصور حتى فى العصر الحاضر أن ممارسة الشعر أمر قبيح ومذموم فى نظر الإسلام. فهدف هذا المقال هو مناقشة هذه الآراء من وجهة النظر الإسلامية.

وقبل الخوض فى صميم البحث يجدر بنا أن نعرف الشعر ونذكر موجزا عن منزلة الشعر والشعراء عند العرب قبل الإسلام.

" الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة"(١٤) فالعرب أشعر الساميين فطرة، وأبلغهم على الشعر قدرة، لإتساع لغتهم للقول، وملائمة بيئتهم للخيال، وصفاء قريحتهم، وسذاجة معيشتهم، وقوة عصبيتهم، وكمال حريتهم، وخلو جزيرتهم مما يصد الفكر عن التأمل، ويعوق الذهن عن التفكر . وهم فوق ذلك ذوو نفوس شاعرة وطباع ثائرة، يستفزهم الرغب والرهب، ويزدهيهم الطرب والغضب، فلم يتركوا شيئا يجول فى النفس أو يقع تحت الحس إلا نظموه فكان الشعر ديوان

علومهم وحكمهم وسجل وقائعهم وسيرهم، وشاهد صوابهم و خطائهم. وكل قبيلة كانت ترغب فى أن يكون لها شاعر و قائد وخطيب، ولكن الشاعر كان اكرم عليها وأحب إليها من هذين. فكانت إذا نبغ فيها شاعر تصنع الولائم وتقيم الأفراح وتهنئها القبائل. وذلك لأن الشعراء يقودون قومهم بقولهم، وينضحون عنهم يوم حفلهم، ويخلدون مآثرهم على الدهور، وينقشون مفاخرهم فى الصدور، لا يبتغون على ذلك جزاء ولا صلة(١٥)

ولقد كان المشركون يقولون عن القرآن أحيانا: إنه شعر ويقولون عن النبى صلى الله عليه وسلم: إنه شاعر وهم فى حيرتهم كيف يواجهون هذا القول الذى لا يعرفون له نظيرا، والذى يدخل ألى قلوب الناس، ويهز مشاعرهم، ويغلبهم على إرادتهم من حيث لا يملكون له ردا. فجاء القرآن الكريم يبين لهم أن منهج محمد صلى الله على وسلم ومنهج القرآن غير منهج الشعر أ ومنهج الشعر أصلا. فإن هذا القرآن يستقيم على نهج واضح، ويد عوألى غاية محددة ويسير فى طريق مستقيم إلى هذه الغاية، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول اليوم قولا ينقضه غدا، ولا يتبع أهواء ولا هواجس نفسية،إنما يصر علىٰ دعوة، ويثبت على عقيدة، ويد أب على منهج لا عوج فيه. والشعراء ليسواكذلك وإنما هم أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة، تتحكم فيهم مشاعرهم وتقودهم إلى التعبير عنها كيف ما كانت ، ويرون الأمر الواحد فى لحظة أسود وفى لحظة أبيض. يرضون فيقولون قولا، ويسخطون فيقولون قولا آخر. ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال! هذا ألى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها. ويتخيلون أفعالا ونتائج ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها. فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء، لأنهم يخلقون فى خيالهم واقعا آخر يعيشون عليه!

وأما صاحب الدعوة الذى يريد تحقيقها فى عالم الواقع ودنيا الناس فيختلف عن هذا الوضع اختلافا تاما. فلصاحب الدعوة هدف وله منهج وله طريق. وهو يمضى فى طريقه على منهجه إلى هدفه مفتوح العين، مفتوح القلب، يقظ العقل، لا يرضى بالوهم، ولا يعيش بالرؤى، ولا يقنع بالأحلام، حتى تصبع

الدعوة واقعا فى عالم الناس.

فمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم يختلف عن منهج الشعراء تماما لا شبهة فى ذلك فالأمر واضح صريح.

أن الشعراء يهيمون فى كل واد من وديان الفكر والتصور والقول، وفق العواطف التى تسيطر عليهم فى لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات. وهم يقولون مالا يفعلون. لأنهم يعيشون فى عوالمهم من صنع خيالهم و مشاعرهم، يؤثرونها على واقع الحياة الذى لا يعجبهم، ومن ثم يقولون أشياء كثيرة ولا يفعلونها، لأنهم عاشوها فى تلك العوالم الموهومة، وليس لها واقع ولا حقيقة فى دنيا الناس المنظورة.

إن طبيعة الإسلام وهو منهج حياة كامل معد للتنفيذ فى واقع الحياة، وهو حركة ضخمة فى الضمائر المكنونة وفى أوضاع الحياة الظاهرة. إن طبيعة الإسلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء كما عرفتهم البشرية فى الغالب. لأن الشاعر يخلق حكماء فى حسه ويقنع به. وأما الإسلام فيريد تحقيق العلم ويعمل على تحقيقه ويحول المشاعر كلها لتحقيق فى عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع ويريد الاسلام مواجهة الحقائق وعدم الهروب منها إلى الخيال إلى الموهوم. فإذا كانت هذه الحقائق لا تعجبهم، ولا تتفق مع منهجه الذى يأخذهم به، وفعهم إلى تغييرها، وتحقيق المنهج الذى يريد. ومن ثم لا تبقى فى الطاقة البشرية بقية للأحلام الموهومة الطائرة. فالإسلام يستغرق هذه الطاقة فى تحقيق الأحلام رفيعة، وفق منهجه الضخم العظيم.

ومع هذا فإن الإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ. وإنما يحارب المنهج الذى سار عليه الشعر والفن. منهم الأهواء والا نفعالات التى تشغل إصحابها عن تحقيقها. فأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام. وتنفع بتأثراتها الإسلامية شعرا وفنا، وتعمل فى الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة فى دنيا الواقع، ولا تكتفى بخلق عوالم وهمية تعيش فيها، وتدع واقع الحياة كما هو مشوها متخلفا قبيحا!

وأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام وفى ضوء الإسلام، تعبر عن هذا كله شعرا وفنا. وحين ذلك يجد أن الإسلام لا يكره الشعر ولا يخارب الفن، كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ، ولقد وجه القرآن القلوب والعقول إلى برائع هذا الكون، وإلى خفايا النفس البشرية. وهذه وتلك هي ماده الشعر والفن، وفى القرآن وقفات أمام بدائع الخلق والنفس لم يبلغ إليها شعر قط فى الشفافية والنفاذ والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال.

ومن ثم يستثنى القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء: الذين أمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعدما ظلموا فاستثنى من الوصف العام أولئك الذين أمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة، واستقامت حياتهم على منهج. وعلموا الصالحات فاتجهت طاقتهم إلى العمل الخير الجميل، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام. وانتصروا من بعدما ظلموا. فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتيم ليصلوا إلى نصرة الحق الذى اعتنقوه، ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها فى إبان المعركة مع الشرك والمشركين على عهد رسول الله صلى عليه وسلم حسان بن ثابت وكعب من مالك، وعبدالله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وقد كانا يهجوان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جاهليتهما، فلما أسلما حسن إسلامهما ومدحا رسول الله ونافحا عن الإسلام.(١٦)

فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلا، بقوله تعالى: والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون غلط وسوء تأويل، لأن المقصودين بهذا النص هم شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالأذى، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخلين فى شيء من ذلك. فقداستثناهم الله عزو جل ونبه عليهم فقال: ألا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ومعنى الآية: والشعراء يحاربهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون

عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون ولا يستمرون على وتيرة واحدة فى الأفعال والأقوال والأحوال، ألم أتر أن الشعراء فى كل واد من أودية القول والقال وفى كل شعب من شعاب الوهم والخيال، وفى كل مسلك من مسالك الغى والضلال يهيمون على وجوههم، لا يهتدون إلى سبين معين من السبل بل يتحيرون فى سياسب الغواية والسفاهة ويتيهون فى تيه الصلف والوقاحة.

وقد قيل فى تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن أن يكون من الشعراء لأن أتباع الشعراء هم الغاوون، وأتباعه عليه الصلاة والسلام ليسوا كذلك. وعن ان عباسؓ: أن الغاوين هم الرواة الذين يحفظون شعر الشعراء ويروون عنهم مبتهجين به. وروى عن ابن عباس رضى الله تعالىٰ عنهما أيضا أن الأية نزلت فى شعراء المشركين عبدالله بن الزبعرى، وهبيرة بن وهب المخزومى، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة الجمحى، وأمية بن أبى الصلت قالوا: نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وهم الغاوون الذين يتبعونهم.

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عزوجل ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله سبحانه و تعالىٰ والحث على الطاعة والحكمة والموعظة والزهد فى الدنيا والترهيب عن الركون إليها والاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الغالية، والترغيب فيما عندالله تعالىٰ ونشر محاسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وذكر معجزاته ليتغلغل حبه فى سويداء قلوب السامعين وتزداد رغبتهم فى أتباعه ونشر مدائح آله وأصحابه وصلحاء أمته ونحو ذلك.

ولو وقع منهم فى بعض الأوقات هجو وقع بطريق الانتصار ممن هجاهم من غير اعتداء ولا زيادة. فالمراد بالمستثنين شعراء المؤمنين الذين ينافحون. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاء المشركين. وعن قتادة أن

هذه الآية نزلت في رهط من الأنصار هاجوا عن رسول الله صلى اله عليه وسلم منهم كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة و حسان بن ثابت. ولما نزلت " والشعراء....." الآية جاء عبدالله بن رواحة و حسان بن ثابت و كعب بن مالك وهم يبكون فقالوا: يا رسول الله لقد انزل الله تعالىٰ هذه الآية وهو يعلم انا شعراء، هلكنا فأنزل الله تعالى:(إلا الذين آمنوا.....) الخ الآية.

فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها عليهم(١٧) وقدقال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم:" هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل". وقال لحسان بن ثابت:"أهجهم يعنى قريشا فو الله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام؟ فى غلس الظلام،أهجهم ومعك جبرئيل روح القدس، والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات"(١٨)

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء فهاج ذلك من شاعرية المسلمين وودوا لو بأذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم للتجاوب عنه، فما هو إلا أن قال لهم:" ماذا يمنع الذين نصروا الله ورسوله، بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟" حتى نهض للقرشيين نفر من الصحابة، فيهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة.

ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان:" كيف تهجوجم وأنا منهم فقال أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين : أهجهم و معك روح القدس"(١٩)

وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بقوله:

هجوت محمدا فأجبت عنه وعندالله فى ذاك الجزاء

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" جزاؤك عند الله الجنة يا حسان"

فلما قال:

فإن أبى ووالدتى وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة مرتين فى لحظة واحدة بسبب شعره(٢٠)

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال:" إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن، ومن لم يوافق الحق فلا خير فيه". وقد قال عليه الصلاة والسلام:

"إنما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب". وقالت عائشه رضى الله تعالى عنها:" الشعر فيه كلام حسن وقبيح، فخذ الحسن واترك القبيح"

ويروى عن هشام بن عروةعن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم بنى **لحسان بن ثابت فى المسجد منبرا ينشد عليه الشعر**(٢١)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنة" الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اعلم منه"(٢٢) وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالىٰ عنه إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه" مرمن قبلك بتعليم الشعر، فإنه يدل على معالى الأخلاق، وصواب الرأى ومعرفة الأنساب"(٢٣) **وعن على رضى الله تعالىٰ عنه" الشعر ميزان العقول"**(٢٤)

وكان ابن عباس رضى الله عنهمايقول:"إذا قرأتم شيئا من كتاب الله تعالى فلم تعرفوه **فاطلبوه فى أشعار العرب**، فإن الشعر ديوان العرب"(٢٥).

وكان ابن عباس رضى الله عنهما يسخر ممن يكره الشعر وكان اذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعرا(٢٦) وكانت عائشة رضى الله عنها كثيرة الراوية للشعر. يقال أنها تروى جميع شعر لبيد. وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم:" لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"(٢٧). وقال ابن سيرين :"الشعر كلام عقد بالقوافى ، فما حسن فى الكلام حسن فى الشعر، وكذلك ما قبح منه"

إن سعيد بن المسيب يعيب من يكره الشعر حينما ذكر عنده أن قوما بالعراق يكرهون الشعر، فقال نسكوا نه أعجميا(٢٨) وروى الإمام البخارى فى

مصنفه:"أدب المفرد" عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الشعر بمنزلة الكلام ، حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام" (٢٩)

وجديد بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن كاهنا ولا شاعرا، لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة، ولكن المشركين يعاندون الدلائل الظاهرة، ويزعمون الرسول صلى الله عليه وسلم شاعرا والقرآن" شعرا" فيقول الله عز وجل: وما علمناه الشعر وما ينبغي له مخبرا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه ما علمه الشعر، وما ينبغي له أى ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جلبته، ولهذا ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم، بل أنشده زحفه أولم يتمه. قال الشعبي: ما ولد عبد المطلب ذكرا أو أنثى إلا يقول الشعر، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٠) . وعن الحسن البصرى قال:إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت:" كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا". فقال ابو بكر رضى الله تعالىٰ عنه: " يا رسول الله ،كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا"فقال أبو بكر وعمر رضى الله تعالىٰ عنهما:"أشهد أنك رسول الله، يقول الله تعالىٰ:وما علمناه الشعر وما ينبغي له"(٣١). وروى الأموى في مغازيه أن رسول الله عليه وسلم جعل يمشي بين القتلى يوم بدر، وهو يقول:"نفلق هاما"،فيقول الصديق رضى الله عنه متمما للبيت :

..... من رجال أعزة علينا وهم كانو أعق وأظلما(٣٢)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفة:

" ويأتيك بالأخبار من لم تزود"(٣٣)

وهو في شعر طرفة بن العبد في معلقته الشهيرة:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وثبت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبدالله بن رواحة رضى الله عنه، ولكن طبعا لقول أصحابه رضى الله عنهم فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحرفون فيقولون:

لا هم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لا قينا

إن أولاء قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع صلى الله عليه وسلم صوته بقوله :"ابينا" ويمدها، وقد روى هذا بزحاف فى الصحيحين أيضا. وكذا ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها نحور العدو:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وكذلك ما ثبت فى الصحيحين عن جندب بن عبدالله رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار، فنكبت أصبعه ، فقال صلى الله عليه وسم :

هل أنت إلاإصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت(٣٤)

ولكن هذا وقع اتفاقا من غير قصد لوزن الشعر لمزيد فصاحته وسلاسته ولم يأت به لقصد النظم، ولا ينبغى له وحاشاه ثم حاشاه أن يأتى بكلام منظوم لقصد النظم أذ لا يخفى على الأغبياء من العجم فضلا عن بلغاء العرب أن القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس على أساليب الشعر فرمى بعض المستشرقين النبى صلى الله عليه وسلم بأنه عليه السلام كان شاعرا، بهتان عظيم(٣٥).

وكل هذا لا ينافى كونه صلى الله عليه وسلم ما علم شعرا وما ينبغى له، فإن الله تعالى علمه القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من العزيز الحميد تذكيرا للمشركين ، وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ولا كهانة ولا سحر يؤثر، كما تنوعت فيه، أقوال الضلال وآراء الجهال. وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة

الشعر طبعا و شرعا.

فيقول الله عزو جل ردا على زعمهم:(**إنه لقول رسول كريم* وما هو بقول شاعر، قليلا ما تؤمنون *ولا بقول كاهن، قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العلمين**)(٣٦)

وقد نظم وأنشد كل من الخلفاء الراشدين المهديين رضى الله تعالى عنهم الشعر، وكثير من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم،والتابعين والفقهاء المشهورين. فمن شعر أبى بكر رضه الله عنه:

رسول أتاهم صادق فتكذبوا
عليه قالوا لست فينا بما كث

ومن شعر عمر رضى الله عنه وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة:

توعدنى كعب ثلاثا يعدما ولا شك أن القول ما قاله كعب
وما بى خوف الموت انى لميت ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب

ومن شعر عثمان رضى الله عنه: غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها
وإن عضها حتى يصربها الفقر

ومن شعر على كرم الله وجهه وكان مجودا حتى قيل: إنه أشعر الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم يذكر همدان ونصرهم اياه فى صفين:

لما رأيت الخيل تزحم بالقنا تواصيهاحمر النحور دوامى
ونادى ابن هند والكلاع وحمير وكندة فى لخم وحى وجذام
تيممت همدان الذين هم هم إذا ناب دهر جنتى وسهامى

وقد جمعوا مانسب إليه رضى الله عنه من الشعر فى ديوان كبير ولا يصح منه إلا اليسير. ومن شعر فاطمة رضى الله تعالىٰ عنها قالته يوم وفاة أبيها عليه الصلاة والسلام(٣٧)

ماذا على من شمم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لوأنها صبت على الأيام صرن لياليا

وكان الأمام أحمد بن حنبل رحمه الله ينشد هذين البيتين(٣٨)

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب

وقد نظم الشعر جل أهل العلم من كبار الصحابة رضى الله عنهم والتابعين والفقهاء المشهورين، فمنهم عبدالله بن الزبير و عبدالله بن عباس رضى الله تعالىٰ عنهما وعمر بن عبدالعزيز ومحمد بن إدريس الشافعى(٣٩)

والقاضى شريح والفقيه العتبى رحمهم الله وكذلك تعلم الشعر جل أهل العلم من بلاد فارس والهند والبنغال بلغاتهم ما يحث المسلمين على اتباع الكتاب والسنة. وأشهرهم الشيخ جلال الدين الرومى، والشيخ عبد الرحمن الجامى، والشيخ فريد الدين عطار، والشيخ مصلح الدين الشيرازى المشتهر بسعدى الذين نظموا بالفارسية، ومولانا محمد على جوهر، وأكبر الإ له أبادى، وشاعر الشرق الفيلسوف الدكتوز محمد اقبال الذين نظموا بالأردية. وقد نظم الدكتور محمد إقبال بالأردية والفارسية كلتيهما ونظم القاضى نذر الإسلام وفروخ أحمد بالبنغالية

وقد اختلف العلماء فى جواز نظم الشعر وإنشاده مطلقا فقال الشعبى وعامر بن سعد البجلى ومحمد بن سيرين وسعيد بن المسيب والقاسم والثورى والأوزاعى وأبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد و أبو يوسف ومحمد و إسحاق وأبو ثور وأبو عبيد لا بأس بإنشاد الشعر الذى ليس به هجاء ولا نكب عرض على أحد من المسلمين ولا فحش. وقال مسروق بن الأجدع وإبراهيم النخعى وسالم بن عبدالله والحسن البصرى و عمروبن شعيب تكره رواية الشعر وإنشاد. واحتجوا فى ذلك بحديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعراء"

وأجاب الأولون عن هذا الحديث والأحاديث التى وردت فى ذم الشعر، فقالوا:" إن هذه الأحاديث وردت حول نوع خاص من الشعر وهو أن يكون

فيه فحش وخناء"

وقال البيهقى عن الشعبى ان المراد به الشعر الذى هجى به النبى صلى الله عليه وسلم. وقال أبو عبيدة الذى فيه عندى غير ذلك، لأن ما هجى به رسول صلى الله عليه وسلم شطر بيت لكان كفرا. ولكن وجهه عندى أن يمتلى قلبه حتى يغلب عليه فيشغله عن القرأن والذكر قيل فيما قاله أبو عبيدة نظر، لأن الذين هجوا النبى صلى الله عليه وسلم كانوا كفارا وهم فى حال هجوهم موصوفون بالكفر من غير هجو، غاية ما فى الباب فقد زاد كفرهم وطغيانهم بهجوهم، والذى قاله الشعبى أوجه

بقول بدر الدين العينى: قال الطحاوى: قال قوم لو كان أريد بذلك ماهجى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعر لم يكن لذكر الامتلاء معنى، لأن قليل ذلك وكثيره كفر. ولكن ذكر الامتلاء يدل على معنى فى الامتلاء ليس فيما دونه. قالوا فهو عندنا يدل على الشعر الذى يملأ الجوف فلا يكون فيه قرأن ولا تسبيح ولا غيره: وأما من كان فى جوفه القرآن والشعر مع ذلك فليس ممن امتلاء جوفه شعرا. فهو خارج من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لأن يمتلى جوف احمدكم قيحا يريه خير له من ان يمتلىء شعرا"(۴۰)

ولما سمعت عائشة رضى الله تعالىٰ عنها هذا الحديث قالت أراد النبى صلى الله عليه وسلم بالشعر تلك الأشعر التى نظمت فى هجائة(۴۱) وأيضا حمله الشافعى رحمه الله على الشعر المشتمل على الفحش روى نحوه عن عائشة رضى الله تعالىٰ عنها أيضا(۴۲)

وحمله الأكثرون على ما إذا غلب عليه الشعر وملك نفسه حتىٰ اشتغل به عن دينه وإقامة فروضه، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرأن والتفقه فى الدين القيام بجميع مسؤولياته. ولذلك ذكر الامتلاء فى الحديث: والحاصل أن المذموم امتلاء القلب من الشعر بحيث لا يتسع لغيره ويلتفت إليه. وليس فى الخبر ذم إنشائه ولا إنشاده لحاجة شرعية ودينية وإلا لوقع التعارض بينه وبين الأخبار الصحيحة الدالة على حل ذلك وهى أكثر من أن تحصى وأبعد

من أن تقبل التأويل كما لا يخفى(٤٣)

و قد تبين لنا من هذه المناقشة أن الإسلام لا يحارب الشعر والفن مطلقا لذاته، وإنما يحارب المنهج الذى سار عليه الشعر والفن، وأن القرآن الكريم يهاجم شعراء المشركين الذين كانويهجون الرسول صلى الله عليه وسلم ويثبطون عن دعوته. فالقرآن الكريم لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر، وإنما هاجر شعرا كان يؤدى الله ورسوله فاذا غلب الشعر على قلب أحد وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة الفرائض، ومنعه من ذكر الله وتلاوة القرآن الكريم وأداء جميع مسؤلياته، فحينئذ لا يحب الإسلام الشعر والفن بل يذمها ذماً شديداً. وكل ذلك معناه أن الإسلام لم يكره الشعر إلا حين وقف معارضا لدعوة ومهينا لمجد الإنسان وكرامته. ولذلك كان الخلفاء الراشدون المهتدون بهدى الإسلام الحنيف ينهون عن الهجاء ويعاقبون فيه، وقصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع الحطيئة معروفة، فقد حبسه حين أقذع فى هجائه للزبرقان بن بدر(٤٤). أما غير ذلك فقد كان يرتضيه ويستحسنه. فلو كان الشعر حراما أو مكروها ما اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم شعراء يثيبهم على الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم وما خلع على كعب بن زهير بردته(٤٥)

وأختتم هذه المقالة مستشهدا بقول الماوردى:

" الشعر فى كلام العرب مستحب ومباح ومحظور: فالمستحب ما حذر من الدنيا ورغب فى الآخرة، وحث على مكارم الأخلاق، والمباح ما سلم من فحش وكذب، والمحظور نوعان كذب و فحش" (٤٦)

هوامش

۱. القرآن سورة الشعراء الآية: ۲۲۴، ۲۲۶

۲. محمد علی الصابونی: "مختصر تفسیر ابن کثیر، المجلد الثانی، الطبعة السابعة(منقحة)" ۱۴۰۲ھ، ۱۹۸۱م، دار القرآن الکریم، بیروت، ص، ۶۶۳، ۶۶۴

۳. القرآن الکریم: سورة الحاقة، الآية ۴۱

۴. أيضا: سورة يس، الأية ۶۹

۵. بدر الدين العينی: عمدة القاری، الجزء الرابع، دار إحياء التراث العربی، ص ۲۷۱، ۲۱۹، يقول العينی: رواه ابن ابی شيبة والبزاز والطحاوی.

۶. بدر الدين العينی: نفس المراجع، ص. ۲۱۷، ۲۱۹، يقول العينی: رواه مسلم وأخرجه ابن ماجة، وأخرجه البخاری عن ابن عمر عن النبی صلی الله عليه وسلم نحو رواية ابن أبی شيبة، وأخرجه مسلم أيضا عن أبی هريرة نحو روايته عن سعد، وأخرجه أيضا عن أبی سعيد الخدری، وأخرجه الطحاوی، أيضا عن عوف بن مالک عن النبی صلی الله عليه وسلم وأخرجه الطبرانی أيضا، عن أبی الدرداء عن النبی صلی الله عليه وسلم

۷. أخرجه الامام احمد فی المسند، كما فی مختصر تفسير ابن كثير، المجلد الثانی، ص/۶۶۳. ورواه مسلم كما فی مشكوة المصابيح، ص/۴۱۱

۸. رواه البخاری ومسلم، كذا فی مشكوة المصابيح، ص/۴۰۹، ۴۱۰

۹. أخرجه الامام أحمد، كما فی مختصر تفسير ابن كثير، المجلد الثانی، ص/۶۶۴

۱۰. أخرجه أبو داؤد من حديث ابی بن كعب وابن عباس رضی الله تعالیٰ عنهما كما فی مختصر تفسير ابن كثير، المجلد الثالث، ص/۱۷۰، كذا فی مشكاة المصابيح، ص/۴۱۰

۱۱. الشيخ ولی الدين الخطيب: مشكاة المصابيح، ص. ۴۰۹، (ورواهما البخاری)

۱۲. ولی الدین الخطیب: مشکاة المصابیح، باکستان، ص/۴۰۹(متفق علیه)

۱۳. ولی الدین الخطیب: المرجع السابق، ص ۴۰۹(متفق علیه)

الأ کل شیء ما خلا الله باطل و کل نعین لا محالة زائل ومن الشعر ما فیه حکم ومواعظ، کما یوجد فی شعر جماعة من الجاهلیة، منهم(أمیة بن أبی الصلت) الذی قال فیه رسول الله صلی الله علیه وسلم:"آمن شعره وکفر قلبه". وقد أنشد بعض الصحابة رضی الله تعالیٰ عنهم للنبی صلی الله علیه وسلم مائة بیت یقول صلی الله علیه وسلم عقب کل بیت"هبة" یعنی یستطعمه فیزیده من ذلک راجع مختصر تفسیر ابن کثیر، ج/۳، ص/۱۷۱

۱۴. أحمد حسن الزیات: تاریخ الأدب العربی، الطبعة الخامسة والعشرون، ص/۳۸

۱۵. نفس المراجع: ص ۲۹، ۳۰، ۴۵

۱۶. سید قطب: فی ظلال القرآن، الجزء التاسع عشر، الطبعة الثالثة، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، لبنان، ص/۱۱۹، ۱۲۱

۱۷. محمد الآلوسی البغدادی: روح المعانی: الجزء التاسع شعر، دار إحیاء التراث العربی، بیروت لبنان، ص/۱۴۵، ۱۴۸، الدکتور عبدالحسین: نقد أدبی، ص۳۹۷، تعلیق ۱.

۱۸. أبو علی الحسن بن رشیق: العمدة، الجزء الأول، باب الرد علی من یکره الشعر، الطبعة الرابعة، ۱۹۷۲م، بیروت، ص/۳۲

۱۹. أحمد حسن الزیات : المرجع السابق، ص/۱۰۳، ۱۵۲

۲۰. أبو علی الحسن بن رشیق: المرجع السابق، ص/۵۳

۲۱. نفس المرجع: ص/۲۷، ۲۸

۲۲. نفس المرجع

۲۳. أبو علی الحسن بن رشیق: المرجع السابق، ص/۲۶، ۲۸، ۲۹، محمود

الآلوسي البغدادي، المصدر السابق، ص/١٥٠

٢٤. محمود الآلوسي البغدادي: المصدر السابق، ص/١٥٠

٢٥. نفس المرجع، ص/١٥٠، ابن رشيق: المصدر السابق، ص/٢٦

٢٦. ابن رشيق: المصدر السابق، ص/٢٦

٢٧ نفس المرجع، ص/٢٦

٢٨. نفس المرجع، ص/٢٦،٢٨،٢٩

٢٩. شيخ ولي الدين الخطيب: المرجع السابق، ص ٤١١، حسن ـ المجلد الأول، ص/١٢

٣٠. محمد علي الصابوني: المضدر السابق، المجلد الثالث، ص/١٦٩

٣١. نفس المرجع: ذكره ابن أبي حاتم عن الحسن البصري، وأيضا محمد علي: " دي هولي قرآن(بالانكليزية)" ص/٨٦٠، الأغاني، الجزء الثالث شعر، ص/٦٨، كما في "تاريخ الأدب العربي(بالبنغالية)" للأستاذ أ.ت.م مصلح الدين، الطبعة الثانية، المؤسسة الإسلامية بنغلا ديش، داكا، سنة ١٩٨٦م.

٣٢. محمد علي الصابوني: المصدر السابق، ص/١٦٩، أخرجه الإمام أحمد والنسائي والترمذي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٣٣. محمد علي الصابوني: المصدر السابق، المجلد الثالث، ١٦٩.

٣٤. نفس المرجع: ص ١٦٩، ١٧٠

٣٥. أر، أيه، نيكلسون: تاريخ الأدب للعرب(الانكليزية)، كيمبردج ١٩٥٣م، ص/١٥٩

٣٦. القرآن الكريم: سورة الحاقة، الآية: ٤٠،٤٣

٣٧. محمود الآلوسي: المصدر السابق، ص /١٤٩

٣٨. محمد علي الصابوني: المصدر السابق، المجلد الثالث، ص/٤٤٥

٣٩. وللامام الشافعي رحمه الله ديوان كبير في الشعر وما روى عنه من قوله:

ولو لا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لبيد

محمول على نحو ما حمل الأكثرون الخبر عليه ، وإلا فما قاله شعر روح المعاني ص/١٥٢

٤٠. بدر الدين العيني: المرجع السابق، ص/٢١٩

٤١. حسن الصحابة: المجلد الأول،ص/١٥

٤٢. محمود الآلوسي: المصدر السابق، ص/١٥٠

٤٣. نفس المصدر.

٤٤. الدكتور شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، المجلد الثاني، الطبعة الثامنة، دار المعارف، ص/٤٥

٤٥. نفس المصدر: ص/٤٤

٤٦. محمد الآلوسي: المصدر السابق، ص/١٥٠

جهاد اور دہشت گردی کا فرق

سیرتِ طیّبہ ﷺ کی روشنی میں

مصنف

پروفیسر ڈاکٹر صلاح الدین ثانی

مکتبہ یادگار شیخ الاسلام پاکستان علامہ شبیر احمد عثمانیؒ

(زیر طبع)